نـافـذة

دب بوشكين وأفعى مكرم

قبل أن أقرأ رواية دوبروفسكي كنت أتصور أن الإقطاعيين ومالكي الأراضـي يتشابهون في الكيفية ويختلفون في التفصيلات، ولكنها أكدت لي أنهم لا يتفقون في التفصيلات فحسب، بل إنهم يتشابهون تماماً «حذوك النعل بالنعل» كما يقول المثل العربي.

إن ألكسندر بوشكين الذي يعد بحق أباً للأدب الروسي الحديث، وعرض في روايته دوبروفسكي التي صدرت مترجمة إلى العربية في طشقند، نماذج من مجتمع الإقطاع تعود إلى الربع الأول من القرن قبل الماضي.. والحادثة التي أود الوقوف عندها في هذه الرواية ذكرتني بحادثة تماثلها جرت في أحد الأرياف السورية في سنوات الأربعينيات من القرن الماضي، ولا أزعم أني شاهدتها بعيني ولكن صديقاً عزيزاً رواها لي قبل سنين طويلة.. كان هو نفسه قد رآها، فبقيت في الذاكرة.

بطل الحادثة في روايـة بوشكين، هو النبيل الإقطاعي ترويكوروف، وكانت له طريقة مذهلة في إمتـاع نفسه وإبهاجها وإدخال السعادة إلى قلبه، ذاك أن عنده دباً ضخماً، كان يتركه زمناً حتى يجوع ثم يحبسه في غرفة خاوية ويقيدونه بحبل مربوط إلى حلقة مثبتة في الحائط. وكان الحبل بطول الغرفة تقريباً، بحيث لا يظل في الغرفة مكان آمن من بطش الوحش المرعب، إلا الركن المقابل، وفي العادة كانوا يأتون بشخص لا علم له بالأمر إلى باب الغرفة، ثم يدفعونه فجأة عبر الباب إلى الدب، ثم يغلقون الباب ويتركون الضحية البائسة وجهاً لوجه مع وحش البراري الأشعث، وكان الضيف المسكين. ضيف الإقطاعي النبيل في قصره!.

بعد أن تتمزق أطراف ردائه ويسيل الدم من جروحه، يجد بسرعة الركن الآمن، ولكنه أحياناً يضطر إلى الوقوف ثلاث ساعات كاملة ملتصقاً بالجدار، يرقب الوحش الهائج، قيد خطوتين منه، وهو يزأر ويثب ويشب على رجليه الخلفيتين، ثم ينقض محاولاً الوصول إليه، إن الأديب العظيم يعلق على هذه البشاعة الفظة بهذه الكلمات: «تلك هي صورة اللهو النبيل للإقطاعي الروسي»!

على أن بوشكين، لم يدع هذه الوحشية تمر هكذا من دون أن يسخر منها على طريقته المريرة: ذلك أن ترويكوروف حين أزمع أن يتسلى مع الضيف الجديد المفترض أنه مدرس فرنسي استقدمه لتدريس أولاده، فشل تماماً. إذ إن الضيف أطلق النار على الدب.. وقتله قبل أن تتاح الفرصة لأحد أن يتسلى أو يضحك!

ربما أن بطل قصتي لا يزال حياً، وإن تكن أراضيه التي كان يمارس فيها هوايته البشعة قد وزعت على الفلاحين.

عوضاً عن الدب، كانت هناك أفعى هائلة، استقدمها ذلك الإقطاعي ولنسمه «مكرم» مثلاً وقد أمر أحد أتباعه بأن ينزع أنيابها السامة، ثم طلب أن تخبأ إلى وقت الحاجة، ووقت الحاجة يحين إذ يزوره ضيف عرف بحبه الحديث بالعربية الفصيحة، وعند الشدة يصيح قائلاً: النجدة.. النجدة. فيضحك صاحبنا إذ يسمع هذه الكلمة الفصيحة.. أي ضحك.. فيخلد إلى نوم مريح لا تعكره أحلام مزعجة..

ويسهر المضيف مع الضيف حتى وقت متأخر من الليل.. وحينئذ يقسم بأنه لابد نائم في بيته.. في غرفة الضيوف.. حيث تنتظره هناك تحت لحاف الفراش الذي يُفرش له على عجل، تلك الأفعى الضخمة.. فما إن يرفع اللحاف ويراها حتى يصيح: النجدة.. ولا يفلح أحد في إيقاف ضحكات مضيفه!

وذات مرة جاءه واحد من فلاحيه، حاملاً في سلة عناقيد من بواكير العنب.. مسروراً معتقداً أن الإقطاعي.. لاشك مكرمه..

كان لدى الرجل كلب ضخم ربما هو أكثر شراسة ووحشية من دب ترويكوروف، دعاه بارود.. فما إن يدنو منه الفلاح ويسلمه سلة العنب، حتى ينادي بارود! ويشير إليه بأن يهاجم ذلك الفلاح المنكود الحظ، فيمزق ثيابه، وينهش ما أمكنه منه.. فإذا آنس مكرم أنه اكتفى ضحكاً وتسلية أمر الكلب بأن يبتعد.

إن الضيف في قصة بوشكين انتقم لنفسه بيده.. وانتهى الأمر، غير أن الضيف في قصتنا لم يعرف كيف ينتقم.

نصر الدين البحرة

مسار الشمال.. الآخرية الفاعلة والذات المستلبة في رحلة ابن فضلان

دراسة تحقق في اعتداء «مايكل كرايتون» على موثوقيّة رسالة ابن فضلان

عامر فؤاد عامر

تقدم هذه الدراسة قراءة جديدة لنص رحلي إشكالي، أثار جدلاً واسعاً، وتضاربت حوله آراء النقاد، وانقسموا فريقين: أحدهما مصدّق مثبت، والآخر مكذّب ناف، وهو «رسالة ابن فضلان» التي أعاد تحقيقها «حيدر محمد غيبة» عام ١٩٩٤، مضيفاً إليها ترجمته لرواية «أكلة الموتى» الأميركيّة وتحاول الدراسة إثبات بطلان نسبة نص «غيبة» إلى الرحالة «ابن فضلان»، من خلال إرجاع نص «ابن فضلان» إلى سياقه التاريخي، وتبيان حقيقة الرواية الأميركيّة التي ترجمها «غيبة»، وفضح أطروحة مؤلفها «مايكل كرايتون» التي تحقق انهزام الحضارة العربية – الإسلامية أمام حضارة الفايكنج. ومن خلال رصد تحولات ذات «ابن فضلان» المستلبة في النص المترجم عن الرواية الأميركيّة.

الدافع الموضوعي

الكتاب صادر عن اتحاد الكتاب العرب ضمن سلسلة الدراسات (٢) ٢٠١٤ للدكتورة «رؤى حسين قدّاح» ومما جاء في مقدمة الدراسة: «... إن شكّنا في أصالة نص «غيبة» كان الدافع الرئيس الكامن وراء اختيارنا هذا النص موضوعاً للدرس، بغية إثبات بطلان نسبته إلى ابن فضلان من خلال دراسة مراحل استلاب ذات ابن فضلان، الممثل السياسي والديني للدولة العباسيّة. لكنّا أدركنا أن اقتصارنا على دراسة تحولات ذات ابن فضلان لإثبات بطلان نسبة نص «غيبة» إليه، دون الاستناد إلى وثائق تدعم تلك الدراسة سيؤدي إلى الحكم عليها بأنها مجرد قراءة ضمن قراءات كثيرة تمحورت حول هذا النص...».

فلسفة السياسة بين الإسلام وأوروبا

ناقش مدخل الدراسة عدّة نقاط مهمّة: «الذات، والآخـر في الفكر الفلسفي الأوروبـي وفي الهويّة الأوروبيّة في الفلسفة السياسيّة الإغريقيّة، وفي نقطة أخيرة هي الاستلاب وتعدد استعمالاته». والمبحث الأوّل من الدراسة جاء تحت عنوان الآخـرية بين أوروبـا القروسطيّة والإسـلام، والـذي بحث في ٣ نقاط هي على التوالي: ثنائيّة (أوروبا القروسطيّة، الإسلام) بين الفرض والتفكيك والراهنيّة، وأوروبا القروسطيّة تصنع آخرها العدو «الإسلام»، والآخر «الغربي» وتمثيلاته في مدوّنات بؤر الاحتكاك في الأدب الجغرافي العربي: الدولة البيزنطيّة – سواحل بلاد الشام أثناء الحروب الصليبيّة – الأندلس. ومما جاء عن الحـروب الصليبيّة في هذا المبحث، وعن الصورة التي كان المسلم في الشرق يلصقها بالأوروبي «الصليبي» واحتقاره، واعتباره أدنى من المنافسة، ما يلي: «عاد الأوروبي الصليبي إلى أوروبا بصورة جديدة عن الشرق المسلم أكثر حدّة وتطرفاً وتنميطاً، ومعرفة عميقة اشتغل عليها طوال مدّة الاحتكاك القسري، ومعارف مشرقيّة ظهر أثرها في مجال الحياة الأوروبيّة، ما يؤكد أن الأوروبي عاش في أثناء تلك الحـروب حالة مثاقفة. أمّا العرب المسلمون فيتفق معظم الدارسين على أنهم تعاملوا مع هذه الظاهرة الخطيرة بكثير من اللامبالاة، وبقي وعيهم بالأوروبي قاصراً على وعيه بهم؛ إذ غفلوا عن رمز الصليب المرفوع، وانشغلوا بتصنيف الأوروبي تصنيفاً إثنيّاً محـدوداً تحت اسم «الإفـرنج». وظلت صورة هذا الإفرنجي غير دقيقة في مؤلفاتهم... وظل الاحتقار هو الإحساس الموجّه إليه، وهذا ما جعله بعيداً عن صفة «العدو» – في نظر العرب المسلمين – التي تقتضي الاعـتراف بقوة الآخـر ونديته وخطره، فضلاً عن ضرورة معرفته».

> محاولة في تشـويه الثقافة والهويّة والذات العربيّة وبناء مسار سلبي لشخصيّة المسلم

التفوّق في الأندلس

تعدّ الأندلس إحدى أهم البؤر التي اشتد فيها الاحتكاك بين العربي المسلم، والإسباني المسيحي، لكنها تميّزت بشدّة انفتاح العرب على أوروبا، فكثر مكتشفو بلادهم من الأندلسيين، وكان النتاج مزيداً من المؤلفات التي تصف رحلات عديدة، ومنها بعثة «الغزال» إلى بيزنطة وبلاد النورمان، ونقتطف منها: «... لكن الملك جعل الباب الذي يفضي إلى مجلسه واطئاً بحيث لا يجتازه المرء إلا راكعاً، كي يُكره الغزال على السجود له. لكن الغزال أبطل حيلة الملك بذكائه وفطنته، فلما وصل إلى الباب، جلس إلى الأرض، وقدّم رجليه، وزحف على أليته زحفاً، فلما جاز الباب استوى واقفاً. والملك قد أعد له، وأحفل في السلاح والزينة الكاملة، فما هاله ذلك، ولا ذعره. فعجب الملك من حكمته ودهائه، وقال: أردنا أن نذله، فقابل وجوهنا بنعليه، ولولا أنه رسول لأنكرنا ذلك عليه».

أوّل تحقيق لابن فضلان

والمبحث الثاني حمل عنوان رسالة ابن فضلان من «سامي الدّهان» إلى «مايكل كرايتون»، والذي عرّف بتاريخ «ابن فضلان» ورحلته، وقدّم تحقيق «سامي الدهان» للرسالة الأصليّة، وبحث في رواية «أكلة الموتى» الأميركيّة، وتداخل رحلة «ابن فضلان» في رواية «كرايتون»، وبراهين «كرايتون» على النص التاريخي، ونقد هذه البراهين ونقضها، وصولاً إلى اعترافات «كرايتون». «قدم سامي الدهان أوّل تحقيق عربي لرسالة «ابن فضلان» معتمداً في تحقيقه لها على صورة شمسيّة لمخطوطة الرسالة التي وُجدت بمدينة مشهد الإيرانيّة، لكنه لم يهمل النصوص التي أثبتها ياقوت، وإنما قابل نسخة مشهد بنصوص ياقوت، واعتمد عليها في تصحيح الأخطاء الواردة في المخطوطة، وسدّ أيّ نقصٍ فيها».

«كرايتون» والخيال

وفي مؤلف رواية «أكلة الموتى» أي «مايكل كرايتون» نذكر ما وصفه الكتاب: «ولد كرايتون في شيكاغو عام ١٩٤٢. وله عدد من الروايات الخياليّة المشهورة، وأشهرها عندنا «أكلة الموتى» بسبب ارتباطها بنص ابن فضلان. كتب هذه الرواية عام ١٩٧٤. وأتبع عنوان الرواية بعبارة «عن مخطوطة ابن فضلان»، وهذه العبارة تثبت أن رواية كرايتون رواية تاريخيّة لا خياليّة، وأنّها تعتمد على مخطوطة ابن فضلان». ويشير نصّ هذا الكتاب في مقطع آخر إلى انحراف «كرايتون» في مسار خاصّ لا شأنَ للرسالة به فيذكر: «لكن كرايتون – الساخر من علماء أوروبا الأذكياء، والمقتنع تماماً بأنّه من المستحيل «أن نعتبر أن أوروبيي ما قبل التاريخ متوحشون ينتظرون بخمول بركات الحضارة الشرقيّة» – أكد أنّ الاكتشافات الحديثة أثبتت أن الشماليين كانوا أصحاب حضارة سبقت حضارة اليونان، وانّهم كانوا يتمتعون بمهارات تنظيميّة، ومعارف فلكيّة مكنتهم من بناء «استون هينج» أقدم مرصد في العالم، وأنّهم استعملوا المعادن قبل أن يستعملها اليونانيون، فضلاً عن أنهم بنوا قبوراً هائلة قبل أن يبني الفراعنة أهراماتهم». ويذكر «سامي الدهان» في النهاية موجزاً جملة ارتكبها كرايتون من الأخطاء فيقول: «... كرايتون لم يقدّم لنا في روايته مخطوطة ابن فضلان المزعومة، ولم تكن غايته قط؛ إذ لو كانت غايته تقديم المخطوطة لما تجاهل نصّ مشهد، ولما حذف نصوصاً كاملة أثبتها ياقوت، وهما أهم مصدرين لرسالة ابن فضلان، ولما غلب عليهما مخطوطات هزيلة مشكوك فيها وفي أصحابها. وإنّما أراد أن يخلق ابن فضلان جديداً، ويدفعه إلى رحلة توافق أطروحته...».

الذات الفضلانيّة

وفي القسم أو المبحث الثالث، والـذي جاء بعنوان الذات الفضلانيّة في نص «حيدر محمد غيبة» والذي عرّف بنص «غيبة» وبالآثار السلبيّة الناجمة عن دمج النصين العربي والإنكليزي، وفي شكوك «غيبة» بنص «كرايتون»، وفي مركزيّة الذات لدى «ابن فضلان»، واستعلائها، وانهزامها، والاستسلام، وانقطاع الانتماء إلى الذات العربيّة الإسلاميّة، ومراحل تكون الذات الفضلانيّة الشماليّة، وصـورة «ابـن فضلان» بين التنميط والاخـتراق. وبعد إقبال «غيبة» في ترجمة رواية «أكلة الموتى» يلاحظ اختلاط رغبة الكاتب في إثبات أقسام رسالة ابن فضلان، ونسف أقسام أخرى منها، ما يدفعه من جديد للبحث عن المنسوف منها، والتشكيك في القسم الذي حاول إثباته، وبذلك تختلط الترجمة بالدراسة، فمن نصّ عربي تمّت ترجمته إلى الإنكليزيّة، إلى نصّ إنكليزي تتمّ ترجمته إلى العربيّة، ويبقى لابن فضلان رحلة ومسيرة بين ذهاب وعودة، وملاحظات بين متكررة، وجديدة، يقدمها الباحثون.

سبع ثمرات

في الخاتمة أورد الكتاب ٧ نتائج تم الوصل إليها اعتماداً على نصّ غيبة والنصوص التي أُسس منها فكانت الأولى: إن ثنائيّة أوروبا «القروسطيّة، الإسلام» ثنائيّة سلب صاغتها أوروبا القروسطيّة من خلال قيام الكنيسة بتشكيل صورة نمطيّة عدوانيّة شيطانيّة للإسلام.

والثانيّة: المدوّنات العربيّة التي تنتمي إلى الأدب الجـغرافي، قدّمت تمثيلات متنوّعة للآخر الغربي. والثالثة: الروائي الأميركي بنى نصه على أطروحة، خلاصتها التشكيك في الأصول الشرقيّة للحضارة، وإثبات وجود حضارة الفايكنج.

والرابعة: اعتراف كرايتون بتلاعبه بنصين تراثيين هما الإنكليزي «بيولف» والعربي «رسالة ابن فضلان».

والخامسة: الوصف الانهزامي لابن فضلان في بداية روايـة أكلة الموتى هو وصف مقصود لتجريد ابن فضلان من هويّته في اللغة والدين والثقافة.

والسادسة: في نص غيبة يذكر أن النص العربي يبيّن قوة الرحالة وتمسكه بثقافته وأصالته وتفرده أمام أهل الشمال على حين في النص الأميركي يصف قوة البطل المتخيل في تخليه السريع عن ثقافته وعن ذاته أمام الآخر الشمالي.

والسابعة: الكاتب الأميركي رسم في روايته صورة جديدة للعربي المسلم أكثر سلبيّة من صورته لدى أوروبا القروسطيّة.

كتاب الجيب في سلسلة أطفالنا وتجربة في الكتاب السوري

الوطن

أن نساهم في لفت انتباه أجيالنا إلى أن الحلّ هو عبر الكلمة، والتعمّق فيها، والاعتياد على المطالعة، وقراءة الجديد، هي مسائل لا بدّ من مراعاتها، والعناية بها، لتكون محـوراً بنّاءً يعمل في كلّ شريحة من شرائح مجتمعنا، لرفع مستوى المعرفة، وتكريس المعلومة المفيدة، وفي بـادرة طيبة لـوزارة الثقافة، والهيئة العامة السوريّة للكتاب، بما يتعلق في قسم منشورات الطفل، جاءت سلسلة أطفالنا.

التنوّع

لا تتعدى هذه المحاولة من «سلسلة أطفالنا»؛ العشرين صفحة من القطع الصغير، لتمثّل كتاب جيب صغيراً، يمكن للطفل أن يحمله في يده بسهولة، أو في جيبه محتفظاً به ليرافقه في كلّ أماكنه، فهو سهل الحمل، وصغير الحجم، وممتلئ بالألوان الصاخبة والجاذبة. مع عناوين ممتعة جاءت بين العلوم، والتحريض على التجارب العلميّة، وبين القصّة الأدبيّة، والمسليّة، وبين الرسم، والتلوين، والجغرافيا، والمزيد من العناوين العريضة اللافتة لانتباه واهتمام أطفالنا.

في العناوين

من الموضوعات التي طرحتها هذه السلسلة الجديدة للأطفال أولاً عالم البحار الذي يطرح تعاريف حول الكائنات البحرية ومعلومات ضرورية حول الفائدة التي يجنيها الإنسان من البحار ونقاط مهمة أضاء عليها الكتيب تتناسب ورغبة الطفل في الاكتشاف بنفسه، أما الكتيب الثاني فكان عن آثار من بلادي مع صور حقيقية لأهم المواقع الأثرية في سورية وعناوين المدن الأثريّة مثل «تدمر، وبصرى، وأوغاريت» في الإصدار الثالث كان للتلوين والرسومات موضوعه في مجموعة من الطيور مع وجود نسخة للرسمة الأصلية ومقابلها صورة مماثلة على الطفل التجربة في تلوينها لتماثل الصورة الأمّ. أما في موضوع القصة فكان هناك قصة مترجمة بعنوان «ماذا تقول الإوزة» ترجمها «فادي غانم»، وأخرى بعنوان «صفاء القلوب» من تأليف «سعاد حمدان» وفي الإصدار الأخير كان لدينا مجموعة من المهارات في تعلم صناعة الأشكال بالورق تحت عنوان «لنصنع معاً».

مميزات في التجربة

السلسلة منوّعة الموضوعات والاهتمامات وهي تجربة جيدة لجـذب الطفل إلى التعلّم والمعرفة والاكتساب مع عنايتها باللون الجاذب والرسومات المناسبة، وأيضاً الحجم الصغير الذي يدعو الطفل للعناية به أكثر.

الجمعية الفلكية تدعو إلى التصويت على تسمية أحد الكواكب بـ«تدمر»

دعت الجمعية الفلكية السورية متابعيها إلى التصويت على إطلاق اسم «تدمر» على أحد الكواكب التي تدور حول نجم الراعي ضمن مشروع تسمية العوالم الخارجية الذي ينظمه الاتحاد الفلكي الدولي بهدف إطلاق أسماء على المنظومات النجمية والكوكبية الخارجية.

وأوضح نائب رئيس الجمعية الفلكية المهندس عبد العزيز سنوبر أن التصويت مفتوح حتى نهاية أيلول الجاري على موقع الاتحاد الفلكي الدولي على شبكة الانترنت دون الحاجة لأي تسجيل أو إدخال أي معلومات، مبيناً أن الأمر يتطلب الدخول إلى الموقع والتصويت على نجم الراعي واختيار كلمة بالميرا «تدمر».

وحسب سنوبر يتنافس الاسم الذي رشحته الجمعية لتسمية الكوكب مع ثلاثة أسماء مرشحة من قبل هيئات أخرى عازياً اختيار الاسم إلى أن آثار تدمر من أهم المواقع المسجلة على قائمة اليونيسكو للإرث الحضاري العالمي لذلك وجب تخليدها لتعريف الأجيال القادمة بها فضلاً عن أن الاسم سهل اللفظ والاستخدام في جميع لغات العالم ونجم الراعي الذي يدور حوله هذا الكوكب يمتلك اسماً عربياً.

وكان الاتحاد الفلكي الدولي أطلق عام ٢٠١٤ مشروعاً عالمياً لاختيار تسميات مناسبة للكواكب حيث تم ترشيح ٢٠ منظومة من النجوم والكواكب ليتم إطلاق تسميات معينة عليها وفي بداية ٢٠١٥ طلب الاتحـاد من الهيئات والجمعيات الفلكية اقتراح أسماء معينة لها حيث تم تقديم مئات الاقتراحات من جميع أنحاء العالم واعتمدت في آب الجاري الاقتراحات الملائمة وتم فتح التصويت أمام الجمهور وسيتم إغلاقه في الأول من تشرين الأول القـادم وسيتم الإعـلان عن الأسماء الفائزة رسمياً في منتصف تشرين الثاني ٢٠١٥.

مديحة كنيفاتي: لا شيء يسحب البساط من تحت الدراما السورية

أكدت الفنانة مديحة كنيفاتي أنها غير نادمة على مشاركتها في مسلسل «صرخة روح»، لكنها بذات الوقت أشارت إلى عدم خوض هذه التجربة لأنها لا تحب التكرار ولأنها ضد فكرة الأجزاء.

وفي سؤالها عن مسلسلات البيئة الشامية قالت في لقاء عبر «ميلودي إف إم»: «سبب ابتعادي عنها هو أنه لم يعرض عليّ أي مسلسل ولأنني أميل للأعمال الاجتماعية أكثر».

وأردفت: لم أتردد في أداء شخصيتي في مسلسل «في ظروف غامضة» والسبب هو ثقتي بالمخرج الذي قدم الشخصية بطريقة جميلة.

وفي سؤال عن موضوع الشائعات قالت: «أصبحت مزعجة جداً لأن الجمهور يصدق هذه الشائعة ويتعامل معها على أنها حقيقية».

وعن موضوع الأجـور علقت: «ممكن أن أكون في دراما غير سورية بسبب الأجور التي أرجو أن تتحسن، لأن لدينا قدرات تمثيلية وإخراجية رائعة ولأن الممثل يرى فرصاً مادية في الخارج، وللحفاظ عليه يجب رفع مستوى الأجور».

وفي الحديث عن الأعمال العربية المشتركة، أوضحت: «لا شيء يسحب البساط من تحت الدراما السورية، لأن لها طابعاً مميزاً من روح الحياة فلا شيء يؤثر عليها.